المقاربة البينية في فكر جمال حمدان
شخصية مصر نموذجاً(*)

د. فاطمة الزهراء علي
مدرس بقسم علم الاجتماع
كلية الآداب – جامعة القاهرة

الملخص

يسعى المنهج البيني إلى تحقيق أربعة أهداف أساسية هي دمج المعرفة، والإبداع في طريق التفكير، وتحقيق التكامل، وإنتاج المعرفة. تلك الأهداف التي تبلورت بصورة جلية في فكر "جمال حمدان"، وخاصة مؤلف شخصية مصر، فقد استطاع من خلال "شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان" أن يحدد القسمات الواضحة في الشخصية المصرية بأنها فلتة جغرافية نادرة لها عمقها الاستراتيجي، وموقعها السياسي، وموضعها الحضاري الذي يحمل بين طياته تفاعلات الإنسان المصري مع البيئة عبْر التاريخ من خلال تبنيه للرؤية البينية محققًا للأهداف الأربعة سابقة الذكر، فشخصية مصر عنده "لا تنسب إلى ما يسمى بالجغرافيا التقليدية، وإنما ترتفع إلى رؤية عمرانية استراتيجية شاملة تبدأ من الواقع الجغرافي الطبيعي لتمتد فتشمل مختلف القضايا الإنسانية والاقتصادية والإقليمية والسياسية والاجتماعية والثقافية"، ومن هنا يسعي هذا البحث من خلال مشروع "جمال حمدان" الحضاري المتكامل المتميز عن الشخصية المصرية أن يرصد ملامح البينية في فكره، وتتبلور إشكالية البحث في تساؤل رئيسي مهم مؤداه: كيف وظف "جمال حمدان" المنهج البيني في دراسته للشخصية الإقليمية المصرية؟

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٠) العدد (٧) أكتوبر ٢٠٢٠.**

Abstract:

The Interdisplinary seeks to achieve four basic goals: the integration of knowledge, creativity in the way of thinking, achieving integration, and the production of knowledge. Those goals that have been determined clearly in the thought of "Gamal Hamdan", especially his work the personality of Egypt, has been enabled through "the personality of Egypt: a study in the genius of the place" to define the clear features of the Egyptian personality as a rare geographical dimensions that has its strategic depth, political location, and civilizational position which It carries between the Egyptian man's interactions with the environment throughout history through his adoption of an interconnected vision in order to achieve the above-mentioned four goals. The personality of Egypt has "not attributed to the so-called traditional geography, but rises to a comprehensive strategic urban vision that starts from the natural geographical reality to extend to include the various judges "humanity, economic, regional, political, social, and cultural ". Hence, this research seeks through the integrated cultural project" Jamal Hamdan "distinct from the Egyptian personality to monitor the features of the interdisplinary in his thought, and the problem of research is formed in an important main question: How did Gamal Hamdan employ the Interdisplinary in his study of the Egyptian regional personality؟

أولاً: مقدمة حول الإشكالية البحثية:

إن البينية والتداخل بين العلوم لمد جسور معرفية تسهم في تطوير البحث العلمي فهمًا وتحليلًا وتنظيرًا[١]، من القضايا الهامة الجديرة بالدراسة وذلك لِمَا يسعى إليه هذا الاتجاه المعرفي من التأكيد على تشابك وجهات النظر العلمي بين فروع علمية متعددة [٢] من خلال تبادُل الخبرات البحثية، والاستفادة من الخلفيات الفكرية والنظرية المختلفة بين الباحثين، وإدماجها في إطار مفاهيمي ومنهجي شامل يساعد على توسيع إطار دراسة القضايا الإنسانية بصفة عامة، والبحثية بصفة خاصة.

قد مال علماء الاجتماع في سبعينيات القرن الماضي إلى القول بإن هيمنة الوضعية – التي طال أمدها على علم الاجتماع – قد انهارت، وأن الفكرة القائلة بإن ثمة أسلوبًا واحدًا للبحث الاجتماعي تدعمه فلسفة موحدة للعلوم الاجتماعية، ومناهج البحث قد أفسحت الطريق للوعي بأن هناك العديد من هذه الأساليب البحثية، ولقد كانت نزعة التعددية المنهجية الجديدة نتاجًا لظهور الاتجاهات الفينومينولوجية والبنائية في علم الاجتماع، وانقسام الماركسية إلى مذاهب ماركسية جديدة، فضلًا عن بزوغ نجم النسبية الفلسفية، وقد ذهب أحد نقاد الوضعية "بول فيرابند" في كتابه المعنون: "ضد المنهج" إلى القول بإنه حتى في مجال العلوم الطبيعية فإن الباحثين غالبًا ما يغيرون ما يفعلونه والأساليب التي يفعلون بها ذلك وهم لا يمتلكون منهجًا واحدًا بعينه، وإن النجاح العلمي الحق يتطلب عدم الخضوع – خضوع العبد – لمنهج بحثي واحد، بل إنه يتطلب عوضًا عن ذلك نوعًا من الفوضى المعرفية الرافضة للانحصار المنهجي في قالب واحد[٣].

فالتعامل الجيد مع البحث الاجتماعي وتنظيراته يجب أن يتم من وجهة نظر تجميعية أو دعنا نستعير عبارة أطلقها "تالكوت بارسونز": "لنفتح ملتقى للكل في واحد".

فالانغلاق داخل الحقل المعرفي الواحد الناتج عن التمايز الاجتماعي

الداخلي للمجتمعات من حيث كونه سيرورة واقعية لتوجه النشاطات البشرية يمثل مشكلة كبرى بالنسبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وعقبة جد حقيقية يتعين التغلب عليها حتى ترمي هذه العلوم إلى تقديم صورة للعالم الاجتماعي في مجمله – وعندئذ تجد هذه العلوم نفسها ملزمة برفض الاستسلام للانجرار في التيار التمايزي، ولعدم إنتاج معارف سوى المعارف المتخصصة بشأن أجزاء من الفضاء الاجتماعي تتزايد محدوديتها باطراد(٤).

وحيال مثال هذه المقاومات يبدو أن إحدى القوى الكبرى لدى "إميل دوركايم" والتي أمكن خلطها أحيانًا بإمبريالية سوسيولوجية، قد كمنت في قدرته على رؤية المشتركات بين علوم العالم الاجتماعي المختلفة في عصره، والتي كان يُنظر إليها على أنها مقاربات متخصصة:

"الواقع أن هذه العلوم الخاصة كلها؛ الاقتصاد، والسياسة، والتاريخ المقارن للقانون وللديانات، والديموغرافيا، والجغرافيا السياسية، كان قد نظر إليها، وجرى تطبيقها حتى الآن كما لو أن كل علم منها يشكل كلًّا مستقلًّا، في حين أن الحقائق الواقعية التي تهتم بها لا تعد على العكس من ذلك، أن تكون تجليات متنوعة لنشاط واحد هو النشاط الجماعي. ونستنتج من ذلك أن الأواصر التي جمعت بينها لم يجر رصدها. فمن الذي كان بوسعه أن يفترض حتى عهد قريب أن هناك علاقات بين الظواهر الاقتصادية والدينية، بين الممارسات الديموغرافية والأفكار الأخلاقية، بين الظروف الجغرافية والتظاهرات الجماعية، وتتمثل نتيجة أفدح بكثير لهذا الانعزال في أن كل علم قد درس الظواهر التي تخصه كما لو أنها عديمة الارتباط بأي نظام اجتماعي"(٥).

والحال أن "إميل دوركايم" بعمله على إظهار العلاقات بين الأنساق المختلفة للظواهر التي عالجتها على نحو منفصل فروع معرفية متمايزة تمامًا، كما بعمله على إظهار الطبيعة المشتركة – الاجتماعية – للأنماط المختلفة للحقائق الواقعية المعالجة، إنما يغير بشكل جذري تمامًا من اتجاه هذه المشروعات العلمية المتوازية المختلفة. ومن المؤكد أن موقفه يقوده إلى خلع

اسم "السوسيولوجيا" على العلم الذي يجمع العلوم الخاصة المختلفة وإلى جعل هذه العلوم "فروعًا لعلم واحد يستوعبها". علم قادر على أن تنصهر بداخله كل الحقول المعرفية المتمايزة التي حددها "بورديو"، والتي لا شك أنه اقترحها من أجل تقديم نموذج جد عام للنظر في مجتمعاتنا المتمايزة داخليًّا، وكان "بورديو" حاسبًا من دون ريب حساب أزمنة التاريخ الثلاثة التي تحدث عنها، وهي "الزمن الجغرافي" الطويل وشبه الثابت، وزمن التاريخ الاجتماعي وزمن التاريخ الوقائعي وثورانات الحاضر الدائمة، فقد وضع برنامجه البحثي ومفهومه عن الحقل بين السياقات الكبرى لتاريخ الأمد الطويل والسياقات العابرة الصغرى للتاريخ الوقائعي، ومن ثم فإن العالم الواقعي قد يتطلب، لكي نفهمه، اللجوء إلى نظرية الحقول، ولا تدع صياغات أخرى أي مجال للشك فيما يتعلق بالطموح "العام" لنظرية الحقول من حيث كونها نظرية عن المجتمع وعن التداخل المعرفي[٦].

فالمعرفة هي نشاط اجتماعي بصفة أساسية، ومن ثم فهي ليست عملية فردية من جانب أي "وعي خاص" نظري، بل إنها نتيجة نشاط اجتماعي ما دام الرصيد الموجود من المعرفة يتجاوز المدى المتاح لأي فرد واحد ولأي حقل واحد[٧]. ومن هنا فإنه وبدلًا من إنكار تعقيد الواقع الإنساني كنشاط اجتماعي متواتر دعونا نتقبله باعتباره نقطة البداية للوصول إلى نظرية اجتماعية لهذا الواقع، ولكي تُصَاغ هذه النظرية لا بد أن ندرك المستويات الوجوبية المختلفة التي تتمتع عندها العلوم الاجتماعية بأكبر قدْر من المعرفة البينية[٨]. وهو ما دعا النظرية النقدية لمواجهة نزعة الانقسام بين العلوم الاجتماعية، وازدياد نزعة التخصص داخل علم الاجتماع إلى تقديم ما يسمى "مدخل العلوم البينية "Interdisciplinary Approach".

وقد كان "جمال حمدان" مدركًا لهذه المستويات الوجوبية التي جعلته قادرًا على الولوج في كافة العلوم الاجتماعية والإنسانية ليصيغ منهجه البيني الذي طوعه في دراسة الشخصية المصرية. ويسعى المنهج البيني إلى تحقيق أربعة

أهداف أساسية هي دمْج المعرفة، والإبداع عن طريق التفكير، وتحقيق التكامل، وإنتاج المعرفة. تلك الأهداف التي تبلورت بصورة جلية في فكر "جمال حمدان"، وخاصة مؤلف "شخصية مصر" فقد استطاع من خلال "شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان" أن يحدد القسمات الواضحة في الشخصية المصرية بأنها فلتة جغرافية نادرة لها عمقها الاستراتيجي، وموقعها السياسي، وموضعها الحضاري الذي يحمل بين طياته تفاعلات الإنسان المصري مع البيئة عبر التاريخ من خلال تبنيه للرؤية البينية محققًا للأهداف الأربعة سالفة الذكر، فشخصية مصر عنده "لا تنسب إلى ما يسمى بالجغرافيا التقليدية، وإنما ترتفع إلى رؤية عمرانية استراتيجية شاملة تبدأ من الواقع الجغرافي الطبيعي لتمتد فتشمل مختلف القضايا الإنسانية والاقتصادية والإقليمية والسياسية والاجتماعية والثقافية[٩].

فعن الهدف الأول (دمْج المعرفة)[١٠] لم يرَ "جمال حمدان" سبيلًا للكشف عن الشخصية الإقليمية وعبقريتها الذاتية إلا عن طريق التمدد المعرفي عابر التخصصات فقد حوَّل "الجغرافيا" من حقائق إلى أفكار، وعقد صلات عديدة بين جغرافية الأفكار هذه وبين الإنسانيات الأخرى، بحيث قد يستغرب القارئ كيف أنجبت الجغرافيا – وجغرافية المدن أصلًا – كتابًا مثل "شخصية مصر".

أما الهدف الثاني وهو (الإبداع في التفكير)، فكان "جمال حمدان" معاديًا للمدرسة المعلوماتية التراكمية المناهضة للفكر والإبداع، فالشخصية الإقليمية ليست مجرد تقرير حقيقة علمية مطلقة يمكن أن تخضع تمامًا للقياس الرياضي الإحصائي فهي أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم، إنها تتساءل عما يعطي منطقة تفردها وتميزها بين سائر المناطق وتريد أن تنفذ إلى روح المكان تستشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة.

فيما يتعلق **بالهدف الثالث** المتمثل في (تحقيق التكامل)، فقد ظهر في نظريته الثنائية العامة التي فسر بها شخصية مصر، والتي تقوم على التفاعل بين بعدين أساسيين في كيانهما وهما:

"الموضع Site، والموقع Situation، فهي ثنائية تكاملية يتكامل فيها كم مع كيف، جغرافيا مع تاريخ، مكان مع زمن، جسد مع روح، جزء يتكامل مع كل، والتكامل هنا لا يعني ذوبانًا واندماج الواحد بالآخر، وإنما يعني تقاطعًا وتفاعلًا يؤدي إلى تفرد.

كما تبلور عنده **الهدف الرابع** (إنتاج المعرفة) فيما أنتجه من مشروع حضاري متكامل متميز بما تضمنه من أفكار مرتبة ومنظمة ووفق منهج علمي بيني متميز حول طبيعة الشخصية المصرية.

من هنا يهدف هذا البحث من خلال مشروع "جمال حمدان" الحضاري المتكامل المتميز عن الشخصية المصرية أن يرصد ملامح البينية في فكره، وكيفية تحقق الأهداف الرئيسية للمنهج البيني في هذا المشروع. وتتبلور إشكالية البحث في تساؤل رئيسي مهم مؤداه:

كيف وَظَّف "جمال حمدان" المنهج البيني في دراسته للشخصية الإقليمية المصرية؟

ينبثق عن هذا التساؤل الرئيسي، مجموعة من التساؤلات الفرعية:

١- هل استطاع "جمال حمدان" الربط بين فروع علمية مختلفة والاستفادة من "نظرياتها، وأفكارها، ومفاهيمها، ومناهجها، وأدواتها" في دراسته للشخصية الإقليمية المصرية؟

٢- هل تمكن من إبراز التعددية المنهجية واللياقة المنهجية في دراسته؟

٣- هل جمع "جمال حمدان" بين النظرية والتطبيق للوصول إلى فهم دقيق وشامل للشخصية المصرية؟

٤- هل قام "جمال حمدان" بانتاج معرفة متكاملة ومتميزة نتيجة لتبنيه المنهج البيني؟

ثانيًا: أهمية البحث:

١- تشكل البحوث البينية مجالًا خصبًا للباحثين في العصر الحديث، لِمَا تمثله من أهمية في دراسة ظواهر المجتمع المختلفة وقضاياه ومشكلاته المتعددة التي تحتاج إلى عبور الحواجز والقيود المعرفية فيما بين العلوم الاجتماعية والطبيعية. ويمكن القول بإنه بعد عقود من التخصص المتزايد على المستوى الرأسي، أى فيما بين العلوم الاجتماعية، وعلى المستوى الأفقي أى فيما بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، تبين أن هناك اتجاهًا متزايدًا نحو تمويل مشروعات وبرامج بحثية تحاول أن تعزز البحوث البينية بوصفها وسيلة لتشجيع التقدم العلمي والتكنولوجي، والاستفادة من المخرجات البحثية في التنمية الإنسانية وتحسين جودة الحياة(١١).

٢- يعد هذا البحث محاولة لتفادي أزمة العلوم الاجتماعية التي نشأت نتيجة الاتجاه نحو التخصص الدقيق مما صاحب ذلك الكثير من المشكلات أدت إلى صعوبة فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية.

٣- إحياء فكر "جمال حمدان" وإبراز بعض ملامح مشروعه الحضاري النهضوي الشامل البيني العابر للتخصصات.

ثالثًا: مفاهيم البحث:

١ - مفهوم البينية: Interdisciplinary

تتكون كلمة "البينية interdisciplinary" من مقطعين أساسيين، مقطع "Inter" وتعني "بين" وكلمة "discipline" وتعني مجالًا دراسيًّا معينًا، ومن هذا المنطلق فقد عُرِّفَت الدراسات البينية من قبل كلاين ووليم (٢٠٠١) على أنها دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي يُجاب بموجبها عن بعض الأسئلة أو حل بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جدًّا أو معقد جدًّا يصعب التعامل معه بشكل كافٍ عن طريق نظام أو تخصُّص واحد(١٢).

نشر "يبونس" Gibbons وآخرون في عام (١٩٩٤) ورقة بحثية بعنوان "الإنتاج الجديد للمعرفة" The New Production of Knowledge، واعتمدت تلك الورقة البحثية على فرضية مؤداها: أنه إلى جانب الإنتاج المتخصص الذي أطلق عليه "الطريقة ١". فإن هناك شكلًا آخر أطلق عليه "الطريقة ٢"، ويعتمد هذا الشكل على البحوث البينية، كما أكد على أن "الطريقة ٢"، بمثابة الشكل الجديد لإنتاج المعرفة. ولقد استخدم مصطلح "البحوث البينية" للإشارة إلى المشكلات البحثية التي تنشأ في سياق التطبيق، كما تعد تلك البحوث الموضوع الرئيسى للأبحاث المستقبلية التي تتناول المشكلات غير المرتبطة بمجال تخصص بعينه)، وتاريخيا استطاع عالم الاجتماع "دافيد سيلز" David. L. Sills أثناء بحثه التاريخي عن أول ظهور لمصطلح البحوث البينية أن يجسده في التقرير السنوي السادس (١٩٢٩-١٩٣٠) لمجلس بحوث العلوم الاجتماعية Social Science Research، حيث أشار إلى أنه "غالبًا ما سوف يستمر المجلس في السير نحو اتجاه هذه القضايا البينية"، وفي المقابل قدم عالم الاجتماع "لويس ويرث"[١٣] Louis Wirth الذى كان يعمل في جامعة شيكاغو تقريرًا بتفويض من المجلس صاغ فيه الشكوك حول الآمال التي يعلقها المجلس على البحوث البينية، ويصف معظم ما يتعلق بسياسة المجلس حول التعاون والبحوث البينية بأن "وهم البحوث البينية" دمْج الأفكار والرؤى عن المشكلة محل الاهتمام المشترك للفرعين (A+B) من أجل الوصول إلى فهم أكثر شمولية. وحتى يمكن التعرف بصورة واضحة على مفهوم البحوث البينية، فإننا نحتاج إلى توضيح الفرق بين مصطلح تعدد التخصصات Multidisciplinary والبحوث البينية Interdisciplinary. فالأول لا يهدف إلى حل المشكلات، وإنما يركز على دراسة موضوع أو ظاهرة ما، وهذا يعني إسهام العديد من التخصصات البحثية في موضوع محدد من منظور متخصص، ومن الأمثلة على ذلك إسهام علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء النفس في دراسة مشكلة البطالة، وفي هذه الحالة لا يكون هناك ضرورة للتعاون بين التخصصات البحثية المشاركة، ومن ثم سوف يكون

هناك منظورات مختلفة حول الموضوع، كما أننا لا نجد أي حل للمشكلة.

وعلى النقيض مما سبق، فإن البحوث البينية يقصد بها عملية الإجابة عن سؤال أو حل مشكلة ما، كما أنها بمثابة نمط من البحوث يعتمد على تبني مفهوم "التكامل" Integration ويقصد به حرفيًّا "العمل معًا" To make Whole، حيث إن التكامل هو العملية التي يمكن من خلالها عمل التآلف، والترابط، والمزج بين كل من البيانات، والمعلومات، والمناهج، والأدوات، والمفاهيم، والنظريات من خلال فرعين أو أكثر من فروع المعرفة[١٤] من أجل فهم المشكلات الاجتماعية التي عجزت عن حلها وهي منقسمة عن بعضها البعض[١٥]. نتيجة اتباع المنهج الاختزالي[١٦]. والابتعاد عن الرؤية الكلية الشاملة لمختلف جوانب الظواهر المدروسة.

بهذا المعنى تصبح البينية عملية بناء التفاعلات الجديدة داخل البحث الاجتماعي، بل هي عملية جديدة لفهم ظواهر الواقع الاجتماعي[١٧] من خلال:

- تبادُل الخبرات البحثية والاستفادة من الخلفيات الفكرية والمناهج البحثية المختلفة بين الباحثين وإدماجها في إطار مفاهيمي ومنهجي شامل يساعد على توسيع إطار دراسة الظواهر والمشكلات وتقديم فهم أفضل لها.

التعريف الإجرائي لمفهوم البينية:

نمط من البحوث يعتمد على تبني مفهوم التكامل الذي يمكن من خلاله عمل التآلف والترابط، والمزج بين كل من البيانات والمعلومات والمناهج الأدوات والمفاهيم، والنظريات من خلال فرعين أو أكثر من فروع المعرفة، فهو نمط يدعو إلى الخلق والإبداع وليس مجرد وصف الأحداث، أو كما جاء في كتاب "إيمانويل والرشتاين" "العلوم الاجتماعية المفتوحة" نمط قائم على التحليل وليس وصف الحقائق الثابتة[١٨].

رابعًا: الدراسات السابقة:

تنقسم إلى محورين هما:

المحور الأول: الدراسات التي تناولت أعمال جمال حمدان:

في حدود علم الباحثة لا توجد دراسات علمية منهجية متعددة عن "جمال حمدان" فيما عدا دراسة "سمير عبد الحميد"، وموضوعها "التربية وإعادة البناء الإيكولوجي للإنسان المصري في فكر جمال حمدان: دراسة جيوبوليتيكية"، وانطلقت من إشكالية بحثية عن الكيفية التي تسهم بها التربية في إعادة البناء الإيكولوجي للإنسان المصري كما يبدو في فكر جمال حمدان. وما هي طبيعة وخصائص الإنسان المصري في فكر حمدان وما أبعاد الأزمة الإيكولوجية التي تواجهه؟

واعتمدت على أسلوب تحليل المحتوى، وقام الباحث بتحليل كيفي لمحتوى موسوعة شخصية مصر لجمال حمدان، وتوصل إلى وضوح الأسس الإيكولوجية في الفكر الحمداني المتجسدة في عناصر متعددة هي:

- النيل واهب وضابط الحياة في مصر.
- إيكولوجية الحضارة المصرية.
- التخطيط الزراعي منظومة الإيكولوجية المصرية.
- استراتيجية استخدام المياه في مصر[١٩].

لكن تعددت بعض المحاولات في قراءة أعماله لإعادة نشر فكره، ومن أهمها:

"جمال حمدان في الثقافة المصرية"[٢٠]، وجمال حمدان الجغرافي الذي خلده التاريخ[٢١]، وجمال جمال حمدان في ذاكرة التاريخ[٢٢]، وحوارات مع حمدان[٢٣].

كما رصدت بعض المحاولات أهم الأفكار الجغرافية عند جمال مثل:

تطور الفكر الجغرافي عند جمال حمدان لـ"عبد الحميد صالح حمدان"[٢٤]، والفكر الجغرافي عند جمال حمدان "لأحمد عبد العال" وأشار إلى جذور الفكر الجغرافي الإقليمي الحمداني، والشخصية الإقليمية في الفكر الحمداني، والنظائر الجغرافية والأقاليم الطبيعة"، موضحًا كيف اختلفت رؤية جمال حمدان عن غيره للجغرافيا كعلم يحول الظاهرات التي تشغل سطح الأرض من حقائق مرصوصة إلى أفكار رصينة[٢٥].

كما قدم "إبراهيم محمد" تقويمًا لبعض الأفكار الجيوبولويتكية عند جمال حمدان وتوصل إلى أن رغم محاولات حمدان في دراسة الجيوبوليتيك بمفهومه الحديث ظل أسيرًا لكثير من المفاهيم التي جاء بها الجيوبولتيكيون الألمان، وإن كان أقل حتمية منهم[٢٦].

كما ناقش "عاطف معتمد" في دراسته "حمدان قراءة متجددة: روح المكان وشخصيته" واحدة من أهم الأفكار في عمل حمدان الموسوعي عن شخصية مصر والتي توضح تأثير الرؤيتين البيولوجية الاجتماعية في النظر إلى الأماكن الجغرافية باعتبارها أقرب إلى بشر لهم شخصيات وملامح وصفات ونجد هنا شخصية الإقليم مثل شخصية الفرد في نموها وتطورها وحتى تدهورها[٢٧].

أما دراسة "مصطفى محمد" وعنوانها "جمال حمدان بين الاعتكاف الحضاري والعودة المستنيرة"، فجاءت مختلفة بتركيزها على مراحل حياة جمال حمدان والتي انقسمت إلى مرحلتين كما قال الفيلسوف "توينبي" في ملاحظته التي توصل إليها عبر استقرائه التاريخي لحياة الصفوة والمبدعين، وهي أن حياة هؤلاء تنقسم إلى مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: الاعتزال والاعتكاف عن المجتمع الذي ينتمون إليه وخصوصًا سلبياته، حيث تتاح لهم فرصة نضج الطاقات والارتقاء الروحي.

المرحلة الثانية: العودة المستنيرة، ويقوم فيها المخلص بالدعوة إلى قيم عليا جديدة يناشد فيها أفراد مجتمعه أن يتساموا من أجل ارتقاء المجتمع[٢٨]. وتجسد ذلك في نتاجه الفكري المتميز وما له من أثر فعال في واقعنا الثقافي المعاصر.

المحور الثاني: الدراسات التى تناولت قضية البينية:

رغم تنوع القضايا التي ركزت عليها الدراسات المهتمة بالبينية، فإنها جميعها تؤكد على معنى مهم وهو أن المقصد الحقيقي من دمْج المعارف هو تحقيق التكامل وتعزيز الإبداع في التفكير.

من هنا انطلقت دراسة "خالد محمد" عن "الدراسات البينية بين العلوم الشرعية والإنسانية"(٢٩). لتؤكد على المعنى ذاته، وأضافت أن هناك علاقة طردية بين إفرازات المجتمع والعقل العلمي بما يسمح بإنتاج شكل من أشكال المعرفة أكثر نضوجًا وإبداعًا وهو ما ينتج عن التداخل والتزاوج والتآلف المعرفي.

كما جاءت دراسة "عبد الله حسين" عن النقد الأدبي من الحداثة المنهجية إلى الدراسة البينية"(٣٠). لتستفيض في هذا المعنى مؤكدة أن الاقتصار على منهج واحد من مناهج النقد الأدبي الحديثة أو على آلية واحدة من آلياته الإجرائية، أو على مقولة واحدة من مقولاته النقدية قد يصل بتحليل النص إلى حد معين لا يتجاوزه إلى حدود أخرى تحتاج إلى الإحاطة والشمول والتعدد والتنوع المعرفي الذي يفجر الطاقات الإبداعية ويفصح عنها. الأمر الذي دعا إلى أن يكون تقييم الخطاب الأدبي وقدرته الإبداعية قائمًا على قدرته على دمْج المعرفة(٣١) وإقامة الحوار التفاعلى مع الفروع العلمية المختلفة.

وفي سبيل تعزيز الإبداع الفكري عند الطلاب، بدأت البرامج التعليمية المختلفة بتبني وتصميم برامج تعزز الدراسات البينية، وقد وضحت ذلك دراسة "ميرفت هاني"، وهدفت إلى إعداد وحدة مقترحة في الرياضيات البيولوجية وتوصلت إلى فاعليتها في تنمية مهارات الفهم العميق لدى طلاب الصف الثاني الثانوي، وأكدت على ذلك أيضا كل من دراسة "نجلاء إسماعيل" و"سها حمدي" حينما قامت بالبحث في فاعلية وحدة مقترحة قائمة على الدراسات البينية في العلوم والدراسات الاجتماعية في تنمية مهارات التفسير والحس العلمي الجغرافي لتلاميذ الصف الأول الإعدادي(٣٢). ودراسة mirjam

"Brabler " و"Jan Dettmers" التي دعت إلى تطوير المناهج التعليمية بما يفيد تعزيز المناهج البينية(٣٣). لما لذلك من قدرة على تعزيز كفاءة الطلاب وإبداعهم القائم على التخصصات المتعددة، كما نادت دراسة Bryan "Edward "بأهمية تطبيق المناهج والدراسات البينية (٣٤). وضرورة تقديم أفضل الممارسات لتيسير وتعزيز تطبيق البيئة الدراسية القائمة على التخصصات المتنوعة بما يفيد الطلاب وأعضاء هيئة التدريس على حد سواء.

يتضح لنا من الدراسات السابقة:

- تعدد وتنوع الأفكار والقضايا والموضوعات التي تحتويها موسوعة شخصية مصر "لجمال حمدان"، الأمر الذي سمح له أن يوظف العديد من العلوم والحقول المعرفية للتعبير عن هذه القضايا في رؤية كلية شاملة.
- إبداع "جمال حمدان" في عرضه للقضايا الجغرافية برؤية تكاملية حين عبر عنها من المنظور الإيكولوجي والبيولوجي والاجتماعي والتاريخي. الأمر الذي جعل هذا التعبير ينتقل من مرحلة رصد الحقائق المرصوصة إلى صياغة الأفكار الرصينة وهذا هو مكنون المنهج البيني.
- أسبقية "جمال حمدان" في المناداة بتطبيق المنهج البيني والتداخل المعرفي بين العلوم بما يعزز تحقيق الإبداع والتكامل في دراسة القضايا المجتمعية.
- أهمية إثراء العلوم الاجتماعية بالعديد من الدراسات التي تدعو إلى التداخل المعرفي بما يلبي المتطلبات الديناميكية المستمرة للواقع المجتمعي.

خامسًا: الاستراتيجية المنهجية للبحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، وسوف يستخدم أسلوب تحليل المضمون، حيث يقوم بتحليل كيفي لمحتوى موسوعة شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان لجمال حمدان.

وسوف يعتمد على النموذج الحلزوني(٣٥). في تحليل المضمون الذي يتيح

للباحث أن يغوص داخل البيانات من أجل استخراج المعاني والمدلولات من أجل توليد أنواع الفهم والتفسير والتحليل الجديدة التي دائمًا ما تسكن النص وتكون موجودة بداخله كما يقول Avery Jordon، وفي محاولة البحث للكشف عن مؤشرات المنهج البيني (كالمزج بين فروع علمية مختلفة والاعتماد على مفهوماتها ونظرياتها ومناهجها) في الفكر الحمداني بالتطبيق على موسوعة شخصية مصر، وُضِعَت مجموعة من المتغيرات لتمكن من تحليل الموسوعة بصورة تضمن تحقيق هدف البحث والإجابة عن تساؤلاته، وقد تمثلت في:

١- إعادة تعريف العلم كعابر للتخصصات.

٢- تعريف العالم أو المثقف العام.

٣- التعددية واللياقة المنهجية.

٤- شخصية مصر الاجتماعية والعلم السوسيولوجي.

٥- التداخل بين الحقول المعرفية في دراسة (مصر ملكة الحد الأوسط).

في البداية قبل أن نشرع فى تناول متغيرات البحث بالدراسة والتحليل، نود أن نقدم نبذة عن جمال حمدان.

- نبذة عن جمال حمدان:

يعتبر جمال حمدان ظاهرة فكرية فريدة في تاريخ الفكر المصري والعربي في النصف الثاني من القرن العشرين [٣٦]. فهو ليس مجرد عالم، أو مفكر، أو فليسوف، مهموم بشئون وطنه المصري وأمته العربية، وإنما هو فضلًا عن هذا، صاحب مشروع حضاري ومصري وعربي متكامل يحاول من خلاله الإجابة عن سؤال الخصوصية القومية، وإجابته في مشروعه ليست إجابة علمية نظرية فحسب، بل هى أيضًا إجابة علمية تتضمن موقفًا ناقدًا وإرادة واعية تتوخى التغيير والتجديد. وهو من مواليد محافظة القليوبية عام ١٩٢٨م تخرج من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول تخصُّص جغرافيا السياسية. حصل على درجة

الدكتوراه من جامعة ريدينج بانجلترا عام ١٩٥٣م، وعمل أستاذًا للجغرافيا بجامعة القاهرة بعد عودته من بريطانيا. حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٦م. ونال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٥٨م. وكذا نال جائزة التقدم العلمي من الكويت عام ١٩٨٦م. استقال من الجامعة عام ١٩٦٣م. وتفرغ للبحث العلمي على امتداد ثلاثين عامًا حتى وفاته. رفض عروضًا متعددة للعمل بالجامعات العربية في كل من ليبيا والعراق والسعودية ليتفرغ لكتبه وأبحاثه، ويعبر البعض عن حياة "جمال حمدان" (١٩٢٨- ١٩٩٣) بأنه عاش في صمت ورحل عن الدنيا في صمت، وبين صمت وصمت ملأ الدنيا وشغل الناس. ومن أهم مؤلفاته: بترول العرب، واستراتيجية الاستعمار والتحرير، والمدينة العربية، وجغرافيا المدن، وسكان وسط الدلتا قديمًا وحديثًا، واليهود أنثروبولوجيًّا، والعالم الإسلامى المعاصر، ومن أهم كتبه: "شخصية مصر" الذي جاء في أربعة أجزاء، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٧م، وصدرت الطبعة الثانية عام ١٩٧٠م، وصدرت الطبعة الأخيرة عام (١٩٨٠- ١٩٨٤م). وقد عبر عنها البعض أنها ملحمة شجية في حب مصر، ويرى البعض الآخر أن كتاب شخصية مصر لم يكن كتابًا عن جغرافية مصر، وإنما ملحمة عن شخصية مصر خاصة، والشخصية العربية عامة، وأن هذا الكتاب جاء ليس لمحاولة تحديد العالم الأصيل لهذه الشخصية تحديدًا علميًّا فحسب، وإنما لتأكيدها وحمايتها والدفاع عنها وذلك في مواجهة محاولات التمييع والطمس والامتهان والاغتراب، فهو مشروع حضاري يعد امتدادًا متطورًا خلاقًا لمشروع عصر النهضة، مؤصل تأصيلًا علميًّا عميقًا(٣٧).

يرى "جمال حمدان" أن شخصية مصر "هى بكل المقاييس وبإجماع الآراء من أغنى الشخصيات الإقليمية وأكثرها ثراء وتعددًا في الجوانب والأبعاد وأنها دراسة عن شخصية مصر لا المصريين، عن شخصية مصر لا الشخصية المصرية، والفارق حاسم كما هو دقيق، فرغم قدر من التداخل الحتمى منطقيًّا ومن حيث المبدأ، ورغم فكرة الجغرافيا كجغرافية الإنسان... ورغم تركيز الجزء

الأكبر من هذا الكتاب فعلًا على أبناء مصر وأهل مصر وسكان مصر بالضرورة عمليًّا، فإن هذه أساسًا دراسة لشخصية مصر البلد والأقاليم لشخصية المصري أو الإنسان المصري..."، كما يرى "أن كل إقليم أو بلد هو يقين متفرد ونسيج وحده إلى حد أو آخر.... غير أن واقع الأمر بعد ذلك هو أن درجة التفرد ومدى التميز وحدة التباين هي التى تختلف. وهنا تأتي مصر بكل سهولة على القمة، أنها قمة التفرد، وتلك هى حقيقة عبقريتها الإقليمية"[٣٨].

١- **إعادة تعريف العلم كعابر للتخصصات:** "علم بمادتها، فن بمعالجتها، فلسفة بنظراتها".

تجاوز جمال حمدان النظرة التقليدية المدرسية إلى العلم الجغرافي فجعلها تستعير بحرية من كل فروع العلوم الطبيعية والاجتماعية فنجح في أنسنتها بدل أن تكون مجرد "علم أشياء"، وجعلها مدخلًا إلى التفكير الاستراتيجي في التاريخ والأنثروبولوجيا والحضارة والسياسة متتبعًا بالتحليل أدق تفاصيل الأحداث والجزئيات ليضعها في صورة أعم وأشمل ذات بعد مستقبلي، وقام بإعادة تعريف هذا العلم ذاته فالمبدع الأصيل في مجال العلوم الإنسانية يعيد صياغة حدود العلم ذاته.

فالجغرافيا عنده هى جسر يربط بين العلوم الطبيعية والاجتماعية، وتصل ما فصل التخصص الأكاديمي الضيق، فهي بهذا ليست كما يبدو على السطح علمًا موسوعيًّا فضفاضًا أو بحرًا لا ساحل له، بل هى علم تكاملي بالضرورة، بل العلم التكاملي بامتياز[٣٩]، ويصك هنا حمدان واحدًا من مقولاته المتفردة فيقول: الجغرافيا هنا ليست علمًا فهي "من كل بستان زهرة " حتى وإن بدت على السطح علمًا موسوعيًّا، فإنها في الجوهر وبالفعل علم ملحمى على موسوعيته، علم العالم لا علم العلوم"، ولا يعني هذا أن الجغرافيا هي علم معقد وإنما هى علم بسيط للغاية بل هي علم فطري. فيستطرد قائلًا: "علم في جوهره الفلسفي بسيط أساسًا، بل بسيط للغاية، تكاد تقول غريزيًّا أو فطريًّا، وإن شئت فقل هى بين العلوم علم الفطرة كما أن الإسلام بين الأديان دين الفطرة. والفطرة

هنا هي أساسًا فكرة الإقليم".

كما ينفي حمدان هنا التهمة التى قد يطلقها البعض على الجغرافيا من أنها علم "ناقل فضولي متطفل على سائر العلوم جميعًا، مجرد علم تسجيلي وثائقي". وفي ذلك يقول:

الجغرافيا بالدرجة الأولى علم "ميتابولي metabolic" أي علم تَشَّرب وهضم وتمثل ثم إعادة إفراز وتشكيل وتخليق. هي علم تصنيع لا تعدين، إن أردت تشبيهًا ميكانيكيًّا بدل البيولوجي. وحقًّا، قد لا تكون بهذا أو بذاك علمًا خالقًا على مستوى الحقائق والمعلومات، غير أنها بوظيفتها الأساسية من الربط ورصد العلاقات تخلق جديدًا بالتأكيد على مستوى الأفكار والأنماط. علم ناقل إذن كمعرفة، خالق كفكر. ولكن حتى عند ذلك قد يعترض البعض قائلًا: بل إعادة خلق هو أكثر منه خلقًا أوليًّا مطلقًا. ولكن حسنًا، يبقى مع ذلك أنه خلق في حدود إعادة الخلق(٤٠). ويتضح هنا في نظرته للعلم الجغرافي أنه لم يتجاوز الحدود المعرفية فقط وإنما بعد كل البعد عن المدرسة المعلوماتية التراكمية المعادية للفكر والإبداع، وتدور في إطار الموضوعية المتلقية السلبية فالعقل عندها آلة ترصد وتسجل، وليس طاقة إنسانية مبدعة تعيد صياغة العلم، وهي لا تكترث بالحق أو الحقيقة؛ لأنها غرقت تمامًا في الحقائق والوقائع والأفكار المتناثرة، ترصدها من الخارج دون تعمق، ودون اجتهاد وكأنها أشياء مرصوصة كم لا هوية له ولذا تفقد الظواهر شخصيتها ومنحناها الخاص(٤١).

ولا يتوقف "جمال حمدان" عند تعريف العلم الجغرافي عند هذا الحد، وإنما طالب بجغرافيا حية، تلك التي إذا عرفها أحد فقد عرف كل شيء عن نمط وطبيعة وظروف وقوانين الحياة في هذا المكان أو ذاك "جغرافية الحياة"(٤٢).

التي إن بدت من أعلى آفاق الفكر الجغرافي في التاريخ والسياسة فإنها لا تتقاعس عن أو تستنكف – أن تنفذ أو تنزل إلى أدق حقائق حياة الناس العادية في الإقليم، باختصار يطالب "بجغرافيا تنسج الحياة اليومية، ودورة حياة الناس الجارية في نمط إقليم ما ومورفولوجية أرضه"(٤٣).

فهي تغوص في أعماق الشخصية الإقليمية، لا تجب الجغرافيا الإقليمية العادية ولا تلغيها بالطبع، وإنما هى تكملها بل وتصحح عيوبها وقصورها، وكلتاهما على أية حال ناقصة بغير الأخرى، فهى بطبيعتها الديناميكية المتوثبة المتسائلة تدفع عن الجغرافيا ما لحق بها أنها علم "سكوني" استاتيكي جامد أو خامل، فتنبعث الحياة في عظامها وتدفع الدم في شرايينها التي قد تتصلب أحيانًا.

وقد استهل "حمدان" عمله الموسوعي (شخصية مصر) منهجيًّا وموضوعيًّا بالأرض – أرض مصر – منهجيًّا لأنها بداية الخيط وموضوعيًّا لأنها هيكل الشخصية بما حقق رؤيته الأساسية لها، والتي نظر بها إلى الجغرافيا أيضًا كعلم "تباين الأرض" فعلم الجغرافيا مهتم في المقام الأول بدراسة التباين بين الأقاليم وما يجمعها من تشابُه وما يفرق بينها من عناصر اختلاف، وحين تكون للأماكن صفات مميزة متفردة ينضج المكان إلى مرحلة نسميها شخصية الإقليم "regional personality" ومنطلق هذه الفكرة أنه كما أن التاريخ لا يكرر نفسه فإن الجغرافيا لا تعيد نفسها، ولا الإقليم يكرر نفسه حين ينظر الجغرافيون والمؤرخون والفلاسفة إلى الأماكن ذات الصفات المميزة المتفردة فإنهم ينظرون نظرة وصل لا قطع، ولا يغرقون فقط في التشريح والتحليل، بل يمرون عبر آلاف التفاصيل ودقائق الجزئيات وركام المعلومات إلى نظرة عالمية شمولية كلية. والأساس هنا أن المكان ليس جامدًا ساكنًا بل كائنًا حيًّا فوارًا نابضًا بالحياة، ولا تقتصر دراسة الشخصية الإقليمية على الحاضر وإنما لا بد من متابعة تطور هذه الشخصية عبر التاريخ "فالبيئة قد تكون في بعض الأحيان خرساء، ولكنها تنطق من خلال الإنسان، ولربما كانت الجغرافيا أحيانًا صماء، ولكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها، ولقد قيل بحق: إن التاريخ ظِلُّ الإنسان على الأرض مثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان"، ويضيف قولًا آخر: "أن معظم التاريخ إن لم يكن "جغرافية متحركة" فإن بعضه على الأقل "جغرافية متنكرة"، لهذا نجد أن البحث في الشخصية الإقليمية لم يكن من

عمل الجغرافيين وحدهم، بل بحث فيه المؤرخون كثيرًا، ابتداءً من سيريل فوكس في مؤلفه الشهير "شخصية بريطانيا" إلى حسين مؤنس في "مصر ورسالتها" إلى حسين فوزي "سندباد مصري"، وشفيق غربال في "تكوين مصر".

فالشخصية الإقليمية شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم، إنها تتساءل أساسًا عما يعطي منطقة تفردها وتميزها بين سائر المناطق وتريد أن تنفذ إلى روح المكان تستشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة(٤٤).

وبهذا تصبح "قمة علم الجغرافيا" هو التعرف على "شخصية الأقاليم". بل وأصبحت "الجغرافيا" هي فن التعرف على شخصيات الأقاليم ووصفها وتفسيرها وهي فلسفة المكان، ولا يعني هذا فلسفة محلقة غامضة بل فلسفة علمية واقعية قد ترتفع برأسها فوق التاريخ ولكن تظل أقدامها راسخة في الأرض تحلق بقدر ما تحدق. شخصية، ولئن بدا أن هذا يجعل للجغرافيا منهجًا متنافرًا يتأرجح ما بين علم وفن وفلسفة، فإننا نبادر فنذكر بأن الجغرافيا بطبيعتها علم متنافر غير متجانس في مادته الخام، وليس غريبًا أن يكون كذلك في منهجه، وعلى هذا الأساس يُنظر للجغرافيا بصورة نهائية بأنها في نفس الوقت علم وفن وفلسفة فهى علم بمادتها، فن بمعالجتها، فلسفة بنظراتها.

والواقع أن هذا المنهج المثلث يعني ببساطة أنه ينقلنا بالجغرافيا من مرحلة المعرفة إلى مرحلة التفكير من جغرافية الحقائق المرصوصة إلى جغرافية الأفكار الرصينة، ولا تتحقق هذه الطبيعة المركبة كاملة كما تتحقق في الشخصية الإقليمية(٤٥).

٢- تعريف العالم أو المثقف العام:

قام "حمدان" بتعريف العالم أو المثقف العام باعتباره الذي يتخصص في عدم التخصص، فهو الأخصائي الذي يقرأ كل شيء ليكتب الجغرافيا، الذي يضرب بحرية في كل العلوم يربط الأرض بالناس، والحاضر بالماضي،

والمادي باللامادي، والعضوي بغير العضوي، ويكاد يتعامل مع كل ما تحت الشمس وفوق الأرض، وفي هذا الوقت الذي يضطرب فيه الفكر في مصر بحثًا عن شخصيتها العربية[٤٦] وتحديدًا لمعدنها القومي الأصيل ولدورها الإنساني والحضاري فعليه أن يتحلى بهذه اللياقة المعرفية والمنهجية ليتمكن من مطالعة سطح الأرض المتفارق المختلف بطبيعته من رقعة إلى أخرى، فيستشف منها ويتعرف فيها على كل وحدة تباينة ذات شخصية متميزة عمن سواها فيحدد معالمها ويحدد محتوياتها ومضمونها ويعلل مقومات تلك الشخصية.

٣- التعددية واللياقة المنهجية:

تخلى "حمدان" عن القطبية المنهجية واتسم بدرجة عالية من المرونة المنهجية والاتساق المعرفي في دراسة للشخصية المصرية، بل وأدرك الأهداف المنهجية الكبرى، والتي رصدها "هابرماس" في اكتمال المنهجية العلمية [الموقف الشارح – الموقف النومولوجي – الموقف النقدي] [٤٧] فيرى أن طريق الجغرافي أكثر غنى وتنوعًا في المناهج والطرائق من غيره من الباحثين في الشخصية الإقليمية أو عنها، حيث يجمع تلقائيًا بين المكان والزمان، ابتداءً من الجيولوجيا حتى الأركيولوجيا ومن الفلك حتى الأنثروبولوجيا، لهذا كانت الشخصية الإقليمية مطلبًا أثيرًا للعديد من كبار الجغرافيين ابتداءً من "لابلاش" في مقدمته لكتاب تاريخ فرنسا "شخصية فرنسا التاريخية" إلى "أندريه زيجفريد" في كتابه عن "سيكولوجية بعض الشعوب، ومن "هالفورد ماكيندر" في كتابه "بريطانيا والبحار البريطانية" حتى "سليمان حزين" في دراساته الأصيلة والمتعددة عن البيئة والموقع في مصر عبر التاريخ، وعن حضارة مصر أرض الكنانة[٤٨].

استخدم جمال حمدان مجموعة من المناهج العلمية على نحو متسق لا يتعارض مع بعضه فيرى عمر الفاروق: "إن تمرس حمدان الطويل بالمنهج الإقليمي باعتباره دربة جغرافية أساسية.. وباعتباره موضوعه.. قد جعلت من

عناصره أوتادًا يشق بها طريقه. فكيف توصل حمدان إلى تحديد الملامح الأساسية لشخصية مصر؟ وكيف تمكَّن من ارتياد منطقة من العلم غير مطروقة لشدة وعورتها؟، يمكن القول بإن حمدان قد حقق دربته الأساسية من كتاباته التي سبقت موسوعة شخصية مصر، كما أنه لم يشرع في كتابة هذه الموسوعة قبل قراءة واسعة يصعب الإحاطة بأبعادها، ورغم فطرته التجديدية المتوثبة إلا أنه آثر الالتزام بالمنهج الجغرافي التقليديِّ في عمومياته، مؤجلًا تحليقه لما بعد، فكتب شخصية مصر في إطار التقسيم المستقر لعلم الجغرافيا إلى فروعه الرئيسة: الطبيعية والبشرية، مستخدمًا كافة الأساليب المعتادة، ومتبعًا في عرضها ذات الطرق المعروفة، متوصلًا إلى تحقيق الألفة المنهجية بداية، بما يضمن له توصيل إضافاته المنهجية بد ذلك بيسر.

وهذه الإضافات المنهجية ساقها حمدان في سياقاتها بحذر أولًا.. ثم شاعت فأشاعت الجدة والأصالة في نسيجه المنهجيِّ، فهو عندما يبدأ بالصورة العامة في إيجاز وإحكام.. إنما يمهد لما بعدها حين يصيغ مقولته عنها في شكل المعادلة، وهى إن كانت معادلات لفظيَّة أكثر منها كميَّة.. إلا أنها تمثل أسلوبه المتفرد، الذي يحفر مقولته حفرًا في الذهن، فتصبح وكأنها "حكمة مكانية" أو "مثلًا حمدانيًّا سائرًا، فلغته ثرية بمستوياتها وإيقاعاتها.. تعود لموهبته المتفردة، بما يجعل منها علامة أسلوبية تدل عليه وإن لم يوقع تحتها باسمه[٤٩]. ومن أهم المناهج التى تبلورت لديه:

(المنهج الإيكولوجي):

طبق بيسر المنهج الإيكولوجي، فالإيكولوجيا تمثل العلاقة بين الإنسان، والبيئة والإيكولوجيا تعبر عن الجغرافيا البشرية في ضوء فلسفة المنهج "فما دمنا قد قلنا الجغرافية البشرية، فقد قلنا توا الإيكولوجيا أي العلاقة بين البيئة والإنسان موضحًا "التجانس" كصفة جوهرية في البيئة المصرية وينقسم إلى عدة أنواع هي[٥٠]:

(التجانس الطبيعي): في الأرض والمناخ، حيث تمثل مصر بصحرائها دولة الصحراء المثالية، وهي بنيلها تمثل دولة النهر المثالية، أو بتحديد أدق نموذج البيئة الفيضية، فالنهر هو الضابط الأساسي إن لم يكن المطلق لشكل اللاندسكيب الطبيعي للأرض المصرية. فالنيل يمنح أرض مصر من تجانسه قدر ما يسيطر على حياتها. ويتدرج في ضوئه الوادي على نحو بطيء، وبالتالي تعد الثنائية الحقيقية في مصر تلك التي بين وادي النيل ككل والصحراء ككل... ومصر بهذا تتألف من بيئتين أساسيتين هما: الصحراء والوادي.

ويمتد التجانس إلى المناخ أيضًا، فمصر تستقطب في إقليمين مناخيين أساسيين اثنين فقط، المتوسطي، والصحراوي، فمناخ مصر صحراوي لا يعرف سوى فصلين طوال العام، بحيث يصعب الحديث عن أقاليم مناخية في مصر، والاستثناء هو شريط الساحل الشمالي الغربي المتوسطي المناخ. بعبارة أخرى، مصر في المناخ أيضًا كما في كثير من الظاهرات الطبيعية وغير الطبيعية، إنما تختلف وتتغير على أطرافها أساسًا. وهذا كله ما يعود عمليًّا فيؤكد سيادة التجانس المناخي على معظم رقعة البيئة المصرية.

(التجانس المادي): حيث ينعكس التجانس الطبيعي خاصة المناخي على البيئة المصرية، وينعكس بالضرورة على الزراعة فضلًا عن النبات الطبيعي، فوفقًا للضوابط الإيكولوجية التي حددها حمدان بضوابط طبيعية (التربة، والرطوبة، والحرارة، والري)، وضوابط بشرية (كثافة السكان، وتوزيع المدن)، لا يمكن القول بإن هناك نباتًا طبيعيًّا في مصر الوادي والصحراء على حد سواء تقريبًا. وتلك الضوابط الإيكولوجية أفضت إلى أن تصير مصر المعمورة بيئة زراعية أو حقل محاصيل متصلًا من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. ومصر وفقًا لتلك الضوابط الإيكولوجية، إما زراعة بلا رعي في الوادي، وإما رعي بلا زراعة في الصحراء. فلا تدرج بين الوادي والصحراء، بل انقطاع مفاجئ حاد.

(التجانس العمراني): "إن نظرة إلى خريطة توزيع السكان أو كثافة السكان في مصر جديرة بأن تضع أيدينا على حقيقة جذرية كأنها القانون: إن النيل ليس فقط مانح الحياة في مصر، ولكنه أيضا موزع الحياة على وجهها، إنه إن صح التعبير "جغرافي" مصر الأول ولا نقول الأوحد. فالغلاف البشري عندنا يبدو وكأنه غطاء فصله النيل قد مصر تمامًا، شكلًا وموضوعًا، جملة وتفصيلًا، ونبادر على الفور لنستدرك أن هذا لا يعني أن النيل هو العامل الوحيد في تفسير توزيع السكان، فهناك عوامل أخرى عديدة طبيعية وبشرية، اقتصادية واجتماعية وحتى تاريخية...إلخ، ولكن النهر يظل يكمن خلفها غالبًا بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وهو وحده العامل المفتاح والمسيطر".

في ضوء ذلك، يمكن القول بإن التجانس العمراني نتاج طبيعي للتجانس الطبيعي والمادي معًا، "ويسهم النيل باعتباره محور مصر وعمودها الفقري الصلب وباعتباره اللحن الأساسي في السيمفونية الجغرافية في تجسيد التجانس العمراني على امتداده، وما من إقليم في العالم بالتأكيد، تتركز كل قوته في خط وحيد مثلما تفعل مصر النيلية، إنه خط القوة العظمى".

(التجانس الحضاري): في القرى والمدن، "فالقرية المصرية (خلية مصر) خلية أولية ولا نقول أميبية، تكاد كما وصفها البعض، تمثل امتدادًا رأسيًّا تشكيليًّا تكعيبيًّا للأرض السوداء الأفقية، بينما توشك وحدتها السكنية أن تكون استمرارًا للحقول" تستمد منها مادة بنائها ومصدر معاشها، وبالنسبة للمدن، لا تختلف المدينة عن القرية، إلا أنها قرية كبيرة، ومع التحديث تجاوز في البناء والتخطيط نمطان قديم وحديث داخل المدينة الواحدة.

(التجانس البشري): "فالشعب المصري وحدة جنسية واحدة الأصل متجانسة بقوة في الصفات والملامح الجسمية. وقد دخل حمدان بمنهجه الإيكولوجي مجالات منهجية أخرى غير معهودة فما دمنا قد قلنا الإيكولوجي فقد قلنا إما فلسفة الحتم الجغرافي وإما مدرسة الحرية، إمكانية كانت أو احتمالية أو ضرورية، والجانب الذي يسترشد به في دراسته هو أنه ليس هناك حتم

جغرافي، هناك فقط حسم جغرافي، فالجغرافيا عامل مهم في تفسير الحياة والحضارة والتاريخ في مصر، ولكنها بالتأكيد ليست العامل الوحيد فلا مكان في العلم الاجتماعي للأحادية، والكثير جدًّا من النظريات البيئية ليست في الأساس جغرافية، وإنما وضعها علماء آخرون من سائر العلوم الاجتماعية والإنسانية.

فيفتتح عمله ابتداء **بالجغرافيا الطبيعية** ثم يمضى قدمًا ليخوض آفاق الجغرافية البشرية بكل مراحلها ومراتبها، ويقسم جوانب شخصية مصر في ثلاثة عناصر أساسية[٥١] هي:

شخصية مصر الطبيعية:

يعرض لنا ما يتعلق بالجيولوجيا والجغرافيا المصرية والصحراوات المصرية التي تمثل النسبة الأكبر في مساحتها، وأفرد جزءًاخاصًّا بوادي النيل الذي يمثل شريان الحياة فيها.

شخصية مصر البشرية:

يذكر ملامح التجانس في الشخصية المصرية وكذلك الحضارة المصرية القديمة والحديثة منذ العصر الفرعوني حتى ثورة يوليو ١٩٥٢، ومراحل تطور الحضارة المصرية على مر العصور.

شخصية مصر التكاملية:

عرض الجوانب الاقتصادية في الشخصية المصرية، وخاصة الزراعة التي كانت بمثابة ركيزتها الأولى، كما يعرض لتطور الصناعة والثروة المعدنية فيها، أيضًا يتضمن حديث حول "الشخصية التكاملية" خريطة المجتمع المصري، وشبكة العلاقات المصرية العربية ما بين الوطنية المصرية والقومية العربية.

وهو بذلك يضغط على علاقة التكامل والتواصل بين **الجغرافية الطبيعية والبشرية**؛ لأن تلك هي طبيعة جغرافية مصر وناحية أخرى لأن الشخصية الإقليمية إنما تبرز وتترجم من خلال الإنسان وأعماله في الدرجة الأولى، والمهم داخل هذه الحدود أن نحتفظ بالتوازن السليم بين النظريتين الطبيعية

والبشرية بين دراسة اللاندسكيب الطبيعي واللاندسكيب الحضاري.

ولأن **الجغرافية البشرية** لمصر، ومثلها الطبيعية لا تقتصر على الحاضر وإنما مضروبة في الماضي في تاريخها الطويل بمراحله المتعاقبة، والجغرافية التاريخية تصل الحضارة بالماضي، وتضيف إلى الجغرافية الراهنة جغرافيات عديدة تتضاعف بها أعماقًا وأبعادًا، وهي أكثر ما يسبر روح أي إقليم ويعبر عن جوهر كيانه، فنجح "حمدان" في استخدام **المنهج التاريخي** ليس فقط بكشف الثوابت المتكررة أو المتغيرات في سلوك الإقليم ودوره، ولكن أيضًا بالإحاطة والشمول الزمني.

فمحاولات "حمدان" على سبيل المثال في التأريخ لإثبات وحدة الجنس المصري هي محاولات لتطويع المنهج التاريخي ببراعة، فيؤكد على حقيقتين أساسيتين هما:

– كما يقول "شانتر": الأولى "هي أن المصريين القدماء شعب أصيل في مصر ولم يفدوا إليها من مكان آخر، والثانية هي أن احتمالات الاختلاط المهمة قلت مع ومنذ بداية عصر الأسرات التاريخية"، ومن ذلك الحين والتاريخ الجنسي المصري ليس إلا عملية نمو وتجنيس داخلي وتطور تدريجي طبيعي خال من العقبات أو الهزات إلى درجة جعلته مضرب الأمثال، فيقول "كون" لا بد أن تظل مصر القديمة أبرز مثال معروف في التاريخ حتى الآن لمنطقة معزولة طبيعيًّا أتيح فيها للأنواع الجنسية المحلية الأصلية أن تمضي في طريقها لعدة آلاف من السنين دون أن تتأثر إطلاقًا باتصالات أجنبية".

والحديث عن التجانس الجنسي ينقلنا تلقائيًّا إلى التجانس اللغوي والديني، ومن ثم الحديث عن **المنهج الأنثروبولوجي**.

فيرى "حمدان" أن التجانس اللغوي كامل كأكمل ما يكون في العالم العربي. وأن الأقلية القطبية المصرية فهي من صميم الجسم المصري الكبير، شديدة التماسك فيه والالتحام به، وقد فشلت كل محاولات الاستعمار الحديث في خلق مشكلة طائفية ليضرب بها الوحدة الوطنية(٥٢).

كما أنه بحديثه عن الوحدة الطبيعية السياسية في مصر قد استعار المناهج والمفردات من **العلوم السياسية** ليصور لنا الجيوبولتيكية أو الجيوستراتيجية المصرية، فيقول: إن هذه الدراسة يجب "أن تضع الجانب السياسي من جغرافيتنا التاريخية في البؤرة وأن تسلط عليها ضوءًا مركزًا وكاشفًا بما فيه الكفاية، فهي تتبع نمو الدولة المصرية وإقليمها عبر العصور من الماضي حتى الحاضر في سعيها الحثيث نحو تحقيق وطنها السياسي الأنسب، كما تعالج استراتيجيتها السياسية والعسكرية في صراع القوى التاريخي حولها، مثلما أخضعت مراحل الصعود والسقوط ودورات المد والجزر التاريخية في أقدارها ومصائرها لمقاييس وتكنيك الجغرافيا السياسية المعاصرة، وبهذا وبغيره نسج شخصية مصر الجيوبوليتيكية والجيوستراتيجية منذ البداية إلى أن تبرز تامة النضج والاكتمال(٥٣).

وفي محاولاته للتنبؤ بالمستقبل عن طريق بناء نظريات للتاريخ، فقد استعان **بمناهج دراسة المستقبل**، أي المناهج الاستشرافية، "فقد أصبحت السياسة جغرافية أكثر منها في أي وقت مضى فن الاشتغال بالمستقبل". وقد وظف هذا المنهج متنبئًا بمستقبل مصر محاولًا أن يرسم صورة للغد على أسس علمية منضبطة؛ فناقش العناوين التالية: مصر في عالم متغير، مصير مصر ووضعها العالمي، مصر بين العرب، خريطة مصر سنة ٢٠٠٠...إلخ.

وفي ختام كتابه يقول:

"كما أن الكيف لا الكم سيبقى أبدًا مفتاح مستقبل مصر جميعًا، في الحضارة في العلم، في السكان، في الإنتاج...إلخ، فكذلك سيظل الكيف قبل الكم أساس وضعها ومكانها في الوطن الكبير، دار العرب وإذا كانت القيادة والزعامة مسؤولية تُمارس وواجبًا من القيادة يحقق، فلعل الاختبار النهائي لزعامة مصر قد يكمن في أن ترقى إلى مسؤوليتها باسترداد فلسطين للعرب وإذا صح أن نقول: إن لا وحدة للعرب بغير زعامة مصر، فربما صح أن نقول: إنه لا زعامة لمصر بين العرب بغير ذلك"(٥٤).

كما وظف جمال حمدان **المنهج الفينومينولوجي**، وهو منهج فلسفي في البحث والتفكير طوره الفيلسوف الألماني "إدموند هوسول" يقوم على الدراسة المنظمة للوعي[٥٥]، ويهتم بدراسة وعي الأفراد والطريقة التي يتبعونها في فهم العالم والأشياء الموجودة[٥٦]. فخبرتنا بالعالم تحوي كل شيء بدءًا من إدراكنا للأشياء حتى معرفتنا بالصيغ والمعادلات الرياضية، فجميعها تقوم على الوعي وتتم به، وقد ظهر عند "حمدان" حينما قرر أن يفرق بين الجغرافيا الإقليمية العادية والشخصية الإقليمية بأن الجغرافي قد يدرس على البعد أو على الورق إقليمًا ما دراسة أكاديمية مستفيضة يحدد فيها خطوط التضاريس والجيولوجيا ويحلل المناخ والنبات والتربة ويصنف ملامح الإنسان ومعالم السكان والإنتاج والاقتصاد وغيرها حتى ما أتاه زائراً على الطبيعة وجد نمطًا من الحياة الجارية اليومية يرتبط بصميم البيئة الجغرافية، ولكنه هو شخصيًّا غير واع به يجهله، ولا تسعفه دراساته السابقة عن ذلك الإقليم. هذه الحلقة المفقودة هي بالدقة الحلقة التي وعى بها جمال حمدان وهي روح المكان وجوهر الإقليم.

ولم تخلُ معالجات حمدان للشخصية المصرية من توظيفه **للمنهج الكيفي المقارن** فيقول: "قد عنينا بصفة خاصة وبصورة مستمرة بأن نقارن بين مصر وبين كثير من البلاد والأقاليم الأخرى سواء لتحديد أوجه التشابه الجزئية – ولا مفر من أن تكون جزئية دائمًا لا أكثر – أو لتأكيد أوجه التناقض الجزئية أو الكلية، فبضدها تعرف الأشياء – وبمثلها أيضًا، وبالمقارنة نمنح المنطقة عمقًا وبعدًا عالميين ومنظورًا كوكبيًّا مجسمًّا، ومن هنا فإن دراسة شخصية مصر تغدو دراسة في الجغرافيا الإقليمية المقارنة"[٥٧]. ويقول مبرزًا تميز مصر وتفردها في الوحدة والتجانس التاريخي: "ولربما زدنا هذه الحقيقة وضوحًا إذا ما وضعناها موضع المقارنة مع بلاد أو شعوب أخرى مجاورة، في الشرق العربي مثلاً، عبر العصور الطوال كما في يومنا هذا، نجد أن سوريا تمتاز في كل نواحي حياتها وكيانها بمعادلة إقليمية أساسية تعد مفتاحًا لكل أعماق شخصيتها إنها تتألف من عدد كبير من الوحدات الضئيلة: في الأرض والطبوغرافيا في العروق والسلالات، في اللهجات، والاتجاهات، في الطوائف والملل، حتى في

المدن والواحات، إنها في ذلك كله كومة مفككة من الأحجار الصغيرة، وأكاد أقول من حصى وتراب... والعراق أكثر تجانسًا وتماسكًا، فهو يتألف من عدد أقل من وحدات أكبر حجمًا فهو بنهريه وقوميتيه وبيئيتيه الطبيعيتين السهل والجبل... أقرب إلى الثنائية التركيبية – إلى حجرين كبيرين نوعًا، أما مصر في هذه المتتالية التصاعدية فتأتي على القمة: فهي حجر واحد وحجر ضخم عند ذلك فهنا جسم بشري واحد ووحيد، ووسط جغرافي واحد بالتأكيد، ونهر سائد وفريد، وهي لذلك كله أبعد ما تكون عن التنافر الداخلي أو التخلخل التركيبي، ومنه تستمد ثقلًا ووقعًا وقوة اندفاع فرضت نفسها على تاريخ المنطقة[٥٨].

كما مزج بين **الاتجاهات الفردية في مقابل الاتجاهات التعميمية**، وتشير الاتجاهات المنهجية الأولى إلى تلك المناهج التي تبرز الجوانب الفريدة للظواهر الفردية ذات الخصوصية التاريخية، وعلى النقيض من ذلك تشير الأخرى إلى استخلاص الأحكام العامة (التي تماثل القانون) الخاصة بالحياة الاجتماعية التي تحاكي كما يرى "فيندلباند" المنطق والمنهج المستخدم في العلوم الطبيعية[٥٩]، ورغم تناقضات المنهجين نجح "جمال حمدان" في المزاوجة والجمع بينهما في قراءته للشخصية المصرية، فها هو ذا يتبنى المنهج الفردي حين يصف الشخصية الإقليمية المصرية بأنها فلتة جغرافية تاريخية لن تتكرر، بل إن الشخصية الإقليمية إنما هي تبحث أساسًا عما يعطي منطقة ما تفردها وتميزها عن سائر المناطق من أجل الوصول إلى "روح المكان" لاستشف منه عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة الفردية نادرة التكرار، "إن شخصيات الأقاليم كشخصية الفرد يمكن أن تنمو وتتطور وأن تتدهور، ووصفها لا يقل صعوبة". كما يعلي من شأن المناهج التعميمية حينما يطالب الجغرافيا بالوصول إلى القوانين؛ إن هدف أي علم هو الوصول من آلاف التفاصيل وركام المعلومات إلى الكلِّيات العامة والمعادلات المركَّبة والقوانين الأساسية الحاكمة، إن لم يكن إلى المعادلة الشاملة الأحادية الحاكمة".

المنهج التركيبي

إن النظرية العامة التي انطلق منها "حمدان" في تفسيره للشخصية المصرية، قامت على المنهجية التركيبية الثنائية التي تسعى إلى التكامل، والتكامل هنا لا يعني ذوبانًا واندماج الواحد بالآخر (فهذا يؤدي إلى الواحدية) وإنما يعني تقاطعًا وتفاعلًا يؤدي إلى تفرد وتجاوز لعالم الكم المادي على العالم الكيفي(٦٠) الذي يمس الحياة الاجتماعية، فقد انطلق من ثنائيته المعروفة باسم نظرية الموضع site والموقع situation ويعني بالموضع: البيئة بخصائصها وحجمها ومواردها في ذاتها، أي البيئة النهرية الفيضية بطبيعتها الخاصة وجسم الوادي بشكله وتركيبه.. أما الموقع: فهو صفة نسبية تتحدد بالنسبة إلى توزيعات الأرض والناس والإنتاج حول مصر، وتضبطه العلاقات المكانية. والتكامل بينهما يحدث حين تزدهر مصر داخليا (الموضع) يصبح الموقع محميًّا، ويصب موارده في بنيتها وتطفر مصر كقوة إقليمية، أما إذا ضعفت بنيتها... تدافعت القوى إليها لتسيطر على الموقع، ومن ثم الموضع بعده، وبهذه الفرضية يفسر تاريخها، ومن ثم يقرر بأن كيان مصر ومصيرها وظيفة مباشرة للعلاقة المتغيرة بين قوتها كموضع وقيمتها كموقع، ذلك مفتاح الماضي مثلما هو دليل المستقبل"(٦١).

وجمع لفهم الموضع والموقع المصري كافة الثنائيات المعروفة في العلم الجغرافي بمرونة منهجية عجيبة ليصنع لذاته منهجًا تركيبيًّا خاصًّا.

"هذا العمل وتلك حدوده وأبعاده – اجتمعت كل الثنائيات المعروفة في الجغرافيا الأصولية والإقليمية، الطبيعية والبشرية، التاريخية والمعاصرة، الكورولوجيا والإيكولوجيا، اللاندسكيب والجيوفيزيقيا، الكيفية والكمية المجهرية والملحمية، البحتة والتطبيقية، فيه أيضًا وظفت كل أدوات الجغرافيا ولوحاتها في خدمة جغرافيا الحياة... كما تضفي الحيوية والأهمية والاهتمام على الحقائق الجامدة الصماء، وتحيلها حية نابضة ناطقة... فمن الثابت أن المنهج اللاندسكيبي الذي يعالج الإقليم كظاهرة "مرئية وملموسة" يضفي على الدراسة

حياة وحيوية ومعايشة قد تفتقدها بغير ذلك[٦٢]، مثل ذلك الآثار وأسماء الأماكن والفلكلور والأمثال الشعبية محولًا إياه إلى **منهج إثنوميثودولوجي** لفهم سائر مظاهر الحياة المحيطة بنا والتي نعيش فيها".

"إن الخريطة الجغرافية وثيقة اجتماعية الخطوط التي عليها يد التاريخ".

٤- شخصية مصر الاجتماعية والعلم السوسيولوجي:

انطلق "حمدان" في تحليله للشخصية المصرية الاجتماعية من النظريات السوسيولوجية، وتأتي على قمتها "نظرية الطغيان الشرقي"، والتي تقودنا حتمًا إلى نظرية "العقد الاجتماعي" وقد تناولهما بصورة تحليلية نقدية، وموضوعية ليجيب عن تساؤلات حول قضية الطغيان ومركبه، هل هو ظاهرة تراثية مصرية أم وراثية؟! وهل هو انبثاقة طبيعية من المكان أم انحرافة سياسية عبر الزمان؟ ولكي يفند آراءه ويجيب عن تساؤلاته كان عليه أن يحلل البناء الطبقي المصري تحليلًا سوسيولوجيًّا عميقًا مميزًا فيه بين الظاهرة الاجتماعية السياسية ثم العلاقة الإيكولوجية المفترضة بينها وبين الظاهرة الطبيعية.

وتعد نظرية الطغيان الشرقي من النظريات البيئية الشائعة في الدراسات الاجتماعية، وتقوم على الربط بين الطغيان السياسي والبيئة النهرية، والنظرية قديمة إلى حد كبير، على الأقل تسبق "مونتسكيو"، الذي أطلق سلسلة ضخمة من علاقات الربط بين الظاهرات الطبيعية والظاهرات البشرية عمومًا، لكنها لقيت رواجًا وذيوعًا خاصين في القرن التاسع عشر، ولم تزل تعيش في كثير من المذاهب والمراجع حتى يومنا هذا بصورة محددة أو مجددة، فمن قبل في أواخر القرن الماضي لاحظ الاقتصاديون الكلاسيكيون والاشتراكيون – على حد سواء– أن في العالم مجموعة من البلاد تعيش على الأنهار، المجتمعات النهرية وزراعة الري، تشترك في ملامح اجتماعية وسياسية، تختلف بها عن مجتمعات الزراعة المطرية وتصل إلى قمتها في النهاية إلى الطغيان فسماها الكلاسيكيون "المجتمع الآسيوي أو الشرقي للإنتاج، وفي كل الحالات صك "الطغيان أو الاستبداد الشرقي" كتعبير متداول يركز تلك العلاقة، ثم عاد "كارل

فيتفوجل" إلى هذه النظرية وأعاد التعبير عنها واختبرها، وطبقها على البيئات النهرية في مصر والعراق وفارس والصين والهند، وذلك في كتاب "الاستبداد الشرقي: دراسة مقارنة في الحكم المطلق"(٦٣) مؤكدًا على أن نمط الإنتاج القائم بالأساس على التوسع في الزراعة وتكثيفها، الذي يتم من خلال تنظيم عمليات الري على نطاق واسع، يتطلب التحكم فيه تنسيقًا واسع النطاق بمعرفة الدولة المركزية. أو ما أطلق عليه فيتفوجل "الفرض الهيدروليكي" الذي يرى أن نظام الري هو أحد الأسباب الرئيسية لظهور السلطة السياسية أو بمعنى آخر بلورة العقد الاجتماعي بين الأفراد(٦٤).

فبيئة زراعة الري إذا تُركت بلا ضابط يمكن أن تضع مصالح الناس المائية في مواجهة بعضها البعض مواجهة متعارضة دموية. ذلك أن كل من يقيم على أعلى الماء يستطيع أن يسيئ استعماله – إما بالإسراف، أو بحبسه تمامًا عمن يقع أسفله. أي إن كل حوض علوي يستطيع أن يتحكم في حياة – أو موت – كل حوض سفلي، كذلك يمكن للمحاباة والتحيز أن تسخو بالماء لمن تريد، وتقبضه عمن تريد. إن العلاقات المائية داخل الوادي بأكمله، أشبه ما تكون بقانون الأواني المستطرقة؛ كل تغير فيها هنا يستتبعه بالضرورة تغيير هناك، وأي مضخة كابسة هنا هي بمثابة مضخة ماصة هناك.

المحصلة إذن واضحة: بغير ضبط النهر يتحول النيل إلى شلال جارف، وبغير ضبط الناس يتحول توزيع الماء إلى عملية دموية، ولو تركت البيئة المصرية غابًا اجتماعية لما تطورت عن الغاب الطبيعي الذي بدأت منه والواقع أن البيئة الفيضية يمكن أن تجعل من المجتمع "الهيدرولوجي" مجموعة من المصالح المتعارضة، فتصبح سلسلة الأحواض سلسلة من المتنافسين.

في ظل الإطار الطبيعي يصبح التنظيم الاجتماعي شرطًا أساسيًّا للحياة، ويتحتم على الجميع أن يتنازل طواعية عن كثير من حريته، ليخضع لسلطة أعلى توزع العدل والماء بين الجميع، وبذلك لا تكون الطبيعة وحدها سيدة الفلاح، وإنما بين الاثنين يضيف الري سيدًا آخر هو الحاكم. هنا يصبح الحكم

والحاكم "وسيطًا" بين الإنسان والبيئة، أي إن الحكومة فكرة وجهاز، هي بالضرورة أداة التكامل الإيكولوجي بين البيئة والإنسان، ومن تلك العناصر جميعها يتألف في النهاية المجتمع الهيدرولوجي النموذجي الذي تنسج خيوطه من ثلاثية: الماء والفلاح والحكومة والأخيرة طرف المعادلة لا تقل أصالة، وضرورة وحتمية عن الطرفين الآخرين. ولم يكن غريبًا بعد ذلك أن العقد الاجتماعي كما يقول سايس: كان قائمًا على الماء: أعطني أرضك وجهدك، أعطك أنا مياهي"[٦٥]. ومثل هذا العقد لا يمكن أن يتصور أو يقوم إلا في ظل بيئة الزراعة بالري.

ومن هنا تبدأ ملامح البناء الطبقي في التبلور والوضوح. أما عن الحكومة فهي مركزية أوتوقراطية بالضرورة، وذلك من أجل ضبط وتنظيم الري؛ فالحكم الفردي المطلق نتج عن أن أدوات الإنتاج الأساسية في مصر الزراعية، وهي في التحليل الأخير، الأرض والماء. وإن يكن الماء دم الحياة فإن الأرض جسمها، وإن تكن الأرض خامة الزراعة فإن الماء وقودها. وفيما يتعلق بالأرض، فقد ألغيت الملكية الفردية بضربة واحدة منذ اللحظة الأولى التي اعتبرت فيها كل أرض البلد ملكًا قانونيًّا للدولة، ممثلة في الحاكم فرعون، والماء بحكم البيئة الفيضية في يد الحاكم أكثر من الأرض. ومن يملك الماء في مناخ صحراوي يملك الحياة. وبهذا تجمعت كل حقوق الملكية، ومقومات القوة وأعنة السلطة في يد فرعون. وكان هيكل النظام الفرعوني يتحلل، في عناصره الأولية، إلى ثلاثة أعمدة أساسية: بيروقراطية منتفخة، وثيوقراطية متورمة، وأرستقراطية عسكرية شديدة البأس. والكل يقوم على قاعدة عريضة من بروليتاريا فلاحية عاملة. فالبيروقراطية كانت الأساس الصلب للفرعونية، إذ تجمع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بمفهوم الماضي، أي إدارة الدولة والحكم على العموم. فهي جهاز ضخم من الموظفين أساسًا: التكنوقراط كنواة والبيروقراطية كشرنقة. فالحكومة الفرعونية "النهرية" هي حكومة تكنوقراط. وتشارك البيروقراطية طبقة الكهنة ورجال الدين، التي تمثل القوة المعنوية

للفرعونية، وهي أكبر جهاز للتخدير الشعبي لضمان الخضوع للنظام. ويأتي إلى جانب ذلك رجال الجيش وهم السند الأساسي والمباشر للنظام كله، في الداخل كما في الخارج.

السمة الأساسية في النظام الاجتماعي الطبقي في مصر القديمة أن هذه الطبقات الثلاث كانت عادة امتدادًا وتابعًا للحاكم المركزي وليست انتقاصًا عليه أو انتقاصًا منه. فكانت عميلًا للنظام أكثر منها منافسًا له. ولذلك فرغم كل التناقضات الداخلية بين قطاعات الطبقة الحاكمة، فقد كانت تمثل في نهاية الأمر، جبهة موحدة إزاء الكتلة المناقضة وهي كتلة المحكومين وجسم الشعب. فالانقسام الطبقي الأساسي، والتناقض الجذري في المجتمع، إنما هو ذلك الذي وقع بين الحاكم والمحكومين. فليس في المجتمع حقيقة سوى وجود طبقتين: الحاكم والمحكوم، دون أن يكون هناك أية طبقة وسطى تستحق الذكر أو تخفف من حدة الانحدار والتناقض(٦٦).

ويلاحظ أن النظام الاجتماعي والتركيب الطبقي لم يختلف في مصر الإسلامية عنه في مصر الفرعونية. فالأرض ما تزال، نظريًّا ملك الدولة، ملك السلطان، والملكية الفردية ضعيفة، وسياسة "ذهب المعز وسيفه"، وهمجية الأتراك وآثار كيد المماليك، هذه الأمور كلها سواء. فلقد كان الجميع ترجمات أو طبعات جديدة للطغيان الفرعوني. أما ثالوث الطبقة الحاكمة أو شبه المالكة في ظل السلطان، فلم يزل كما كان في ظل فرعون رغم بعض الأشكال والشكليات الجديدة.

وكانت بداية الإقطاع الفعلي في عصر محمد علي الذي كان بداية عصر جديد تمامًا في الملكية الزراعية، حيث بدأ نظام طبقات هرمي شبه كامل يتكون تدريجيًّا. وهذه البداية لا تخرج عن تدعيم هذا الهيكل الإقطاعي الجديد وتأكيده باطراد، مع دخول الاستعمار الأجنبي طرفًا في المعادلة حتى قيام ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢.

ويؤكد "حمدان" أن الغلاف العصري الهش، من الحياة الدستورية

والبرلمانية والحزبية وسائر مظاهر الديمقراطية الليبرالية المستعارة من أوربا كموضة العصر، لم يكن ليخفي قط جوهر النظام الأوتوقراطي الديكتاتوري.

هذه هى ملامح الخط المصري الذي فرضته طبيعة النيل على مصر من الاستبداد والحكم الأتوقراطي المطلق الذي فرضته طبيعة النيل على مصر[٦٧].

بعد تحليله العميق لمراحل تاريخ مصر الاجتماعي السياسي وبنائها الطبقي، توصل إلى أن الاستبداد أو الطغيان حقيقة عرفتها معظم البلاد في معظم العصور على اختلاف بيئتها – والفروق بين البشر أقل بكثير من التشابه الأساسي، بل لقد كان أغلب تاريخ العالم حتى وقت قريب هو في الواقع الحكم المطلق والاستبداد بصورة أو بأخرى، إن ما عرفته مصر في أغلب تاريخها من الطغيان والأتوقراطية الضارية إنما كان للأسف روح العصر وليس – لحسن الحظ– روح المكان، وهو إذا كان قد طال في مصر، بعد أن كان قد صفي في أوربا مثلًا لعدة قرون، فذلك بفعل الاستعمار الدخيل الآتي من أوربا نفسها.

إذن فهو لا يعبر عن أى طبيعة كامنة في مصر كبيئة أو كشعب، ولا يمثل انبثاقة طبيعية من المكان، وإنما انحرافة سياسية عبر الزمان وفي النهاية لا يعبر عن شخصية مصر الاجتماعية، وعند هذا الحد تسقط يقينًا تلك النظرية البيئية الشائعة التي تربط بين الطغيان السياسي وبين البيئة الفيضية، والتي لا يتفق "جمال حمدان" مع منطقها شكلًا وموضوعًا، فهو يعني أن النيل حتم أحد أمرين: إما أن تكون مصر غابًا بدون ضبطه، أو سجنًا بضبطه، وهذا بدوره يعني خيارًا بين نقيضين لا يجتمعان، فهو خيار قدري ضيق لا يستقيم، وإلا فهل يمكن عقلًا أن تكون مصر هبة النيل فيصير النيل لعنة مصر، أو كارثة اجتماعية، أو نقمة سائلة على أصحابه؟ كلا، فليس حتمًا أن تكون مصر غابًا داميًا، ولا سجنًا كبيرًا بل يمكن يقينًا أن تكون وطنًا حرًّا كريمًا مع الضبط فقط ضبط الحاكم، فصميم المشكلة والمأساة إذن ليس ضبط النيل، ولا ضبط الناس، وإنما هو ضبط الحاكم[٦٨].

كما تمكن من هدم النظريات التي أخطأت في حق الشخص المصري كنظرية "الخصب – الذل" أو " الزراعة دار ذل"، وغيرها من النظريات المرسخة لقبول الطغيان، والبعيدة كل البعد عن روح الشعب الصلب الذي قاوم كل محاولة للكبت ولم يعرف الاستكانة في وجه انحراف الطغيان المستبد.

فالشعب المصري في النهاية، لم يستكن ولا استسلم في مواجهة الطغيان المستبد وشراسة الحكم المطلق، محليًّا كان أو استعماريًّا، ولا انقطعت مقاومته الإيجابية قبل السلبية.

فالتاريخ المصري القديم سجل صراع طويل وحافل بانتفاضات شعبية متواترة قد تفصل بينها فترات اعتراضية من الصبر المتربص، ولكنها قد تتحول أيضًا أحيانًا إلى انفجارات عارمة، وثورات مسلحة تعرف الدموية والعنف والوعي الطبقي. ولئن رجحت في هذا السجل عمومًا نسبة الهبات والحركات غير الحمراء على الثورات الدامية الثقيلة؛ فذلك لأن مصر، بحجمها، جسم ضخم ثقيل الوزن، لا يتحرك باندفاع متهور بل بدفع محسوب. وإن أبرز تلك القمم الثورية هي أولاها وأقدمها، ونعني بها ثورة "إيبوير" في الدولة القديمة. فهي في رأي بعض المؤرخين الماركسيين، أول ثورة طبقية في التاريخ. ففيها حدث انقلاب دموي رهيب رج الحياة في مصر، وحطم الشعب أعمدة النظام الطبقي الأوتوقراطي لسنوات، وإن انتكست في النهاية، وإن أول إضراب عمالي في التاريخ هو ذلك الذي حدث في عهد رمسيس الثالث حيث أضرب عمال جبانة طيبة بسبب الجوع. ويسجل العصر الروماني كثيرًا من الثورات الشعبية على الطغيان المزدوج والاستبداد المركب، وخلال ذلك لعبت الكنيسة القبطية والرهبنة دورًا مهمًّا بالمقاومة الإيجابية والسلبية على السواء[٦٩].

٥- التداخل بين الحقول المعرفية في دراسة مصر (ملكة الحد الأوسط):

إذا كان "جمال حمدان" رصد بفلتته العقلية أهمية التداخل بين الحقول

المعرفية في دراسته للشخصية المصرية، فإن ذلك لا يرجع لفلتة العقلية الفذة فحسب، وإنما يرجع بنفس الدرجة إلى طبيعة تلك الدولة العريقة التي بحث عن سمات تفردها وتميزها، وأدرك تمامًا صعوبة فهم وتفسير هذا التميز إلا في ضوء توليفة خاصة من العلوم والمناهج تليق بتلك التوليفة الإقليمية المصرية. فهو يرى أنه إزاء حالة نادرة من الأقاليم والبلاد من حيث السمات والقسمات التي تجتمع فيها وجعلت منها "ملكة الحد الأوسط".

فكثير من هذه السمات تشترك فيها مصر مع هذه البلاد أو تلك، ولكن مجموعة الملامح ككل تجعل منها مخلوقًا فريدًا فذًّا حقيقة فيقول عنها:

"فهي بطريقة ما تكاد تنتمي إلى مكان دون أن تكون هناك تمامًا. فهي بالجغرافيا تقع في أفريقيا، ولكنها تمت أيضًا إلى آسيا بالتاريخ. وهي متوسطية دون مدارية بعروضها، ولكنها موسمية بمياهها وأصولها...".

"هي في الصحراء وليست منها، إنها واحة ضد – صحراوية...". "فرعونية هي بالجد، ولكنها عربية بالأب. ثم إنها بجسمها النهري قوة بر، ولكنها بسواحلها قوة بحر، وتضع بذلك قدمًا في الأرض وقدمًا في الماء.

وهي بجسمها النحيل تبدو مخلوقًا أقل من قوي، ولكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسًا أكثر من ضخم، وهي بموقعها على خط التقسيم التاريخي بين الشرق والغرب تقع في الأول ولكنها تواجه الثاني وتكاد تراه عبر المتوسط".

كما تمد يدًا نحو الشمال وأخرى نحو الجنوب، وهي توشك بعد هذا كله أن تكون مركزًا مشتركًا لثلاث دوائر مختلفة بحيث صارت مجمعًا لعوالم شتى، فهي قلب العالم العربي، وواسطة العالم الإسلامي، وحجر الزاوية في العالم الأفريقي".

وإذا كان لهذا كله مغزى، فهو ليس أنها تجمع بين الأضداد والمتناقضات، وإنما هي تجمع بين أطراف متعددة غنية كثيرة خصبة وثرية، بين أبعاد وآفاق واسعة، بصورة تؤكد فيها "**ملكة الحد الأوسط**" وتجعلها "**سيدة الحلول الوسطى**".

ولعل في هذه الموهبة الطبيعية سر بقائها وحيويتها على العصور ورغم أن مصر جغرافيًّا وتاريخيًّا تطبيق عملي لمعادلة هيجل تجمع بين "التقرير" و"النقيض" في تركيب متزن أصيل، ونحن لهذا لا نملك إلا أن نقول: إننا كلما أمعنا تحليل شخصية مصر وتعمقناها استحال علينا أن نتحاشى هذا الانتهاء وهي أنها:

"فلتة جغرافية" لا تتكرر في أي من أركان العالم، فالمكان "الجغرافيا" كالتاريخ لا يعيد نفسه أو تعيد نفسها، تلك هي حقيقة عبقريتها الإقليمية(٧٠).

سادسًا: نتائج البحث:

تمكن جمال حمدان من توظيف المنهج البينى في دراسته للشخصية المصرية، واتضح ذلك من خلال تحقق الأهداف الأربعة المتجسدة في (دمج المعرفة، والإبداع في التفكير، وتحقيق التكامل، وإنتاج المعرفة)، وذلك على النحو التالى:

١- تجاوز جمال حمدان النظرة التقليدية المدرسية إلى العلم الجغرافي فجعلها تستعير بحرية من كل فروع العلوم الطبيعية والاجتماعية. ففي نظرته للعلم الجغرافي لم يتجاوز الحدود المعرفية فقط وإنما بعد كل البعد عن المدرسة المعلوماتية التراكمية المعادية للفكر والإبداع.

٢- قام "حمدان" بتعريف العالم أو المثقف العام باعتباره الذي يتخصص في عدم التخصص، فهو الأخصائي الذي يقرأ كل شيء ليكتب الجغرافيا، الذي يضرب بحرية في كل العلوم.

٣- استخدم جمال حمدان مجموعة من المناهج العلمية على نحو متسق لا يتعارض مع بعضه فقد تخلى عن القطبية المنهجية واتسم بدرجة عالية من المرونة المنهجية والاتساق المعرفي في دراسة للشخصية المصرية، بل وأدرك الأهداف المنهجية الكبرى، والتي رصدها "هابرماس" في اكتمال المنهجية العلمية [الموقف الشارح – الموقف النومولوجي – الموقف

النقدي] فيرى أن طريق الجغرافي أكثر غنى وتنوعًا في المناهج والطرائق من غيره من الباحثين في الشخصية الإقليمية، ومن أهم هذه المناهج:

- المنهج الإيكولوجي.
- المنهج الجغرافي.
- المنهج التاريخي.
- المنهج الأنثروبولوجي.
- منهج العلوم السياسية.
- المنهج الإستشرافي.
- المنهج الفينومينولوجي.
- المنهج الكيفي.
- المنهج المقارن.
- المناهج الفردية والمناهج التعميمية.
- المنهج التركيبي.
- المنهج الإثنوميثودولوجي.

٤- انطلق "حمدان" في تحليله للشخصية المصرية الاجتماعية من النظريات السوسيولوجية، وتأتي على قمتها "نظرية الطغيان الشرقي"، والتي تقودنا حتمًا إلى نظرية "العقد الاجتماعي" وقد تناولهما بصورة تحليلية نقدية.

٥- إذا كان "جمال حمدان" رصد بفلتته العقلية أهمية التداخل بين الحقول المعرفية في دراسته للشخصية المصرية، فإن ذلك لا يرجع لفلتة العقلية الفذة فحسب، وإنما يرجع بنفس الدرجة على طبيعة تلك الدولة العريقة التي بحث عن سمات تفردها وتميزها، وأدرك تمامًا صعوبة فهم وتفسير هذا التميز إلا في ضوء توليفة خاصة من العلوم والمناهج تليق بتلك التوليفة الإقليمية المصرية.

الهوامش:

(١) نجيد عبد اللطيف، التداخل المنهجي بين العلوم: مدخل إلى الموسوعية، المؤتمر السنوي لمؤسسة مقاربات: المناهج وتكامل المعارف، مجـ٢، مؤسسة مقاربات للنشر، ٢٠١٧، ص ١١٤.

(2) Foundation,nsf.gov National Science.

(٣) جوردون مارشال وجون سكوت، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، (المجلد الأول) المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١١، ص ٤٢١.

(٤) برتي السوتاري، النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني، ترجمة: علي فرغلي، الطبعة الأولي، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥، ص ٣٤.

(٥) برنار لاييـر، عالم متعدد الأبعاد، تأملات في وحدة العلوم الاجتماعية، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥، ص ٢٨١.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٧) نخبة، موسوعة الهرمانيوطيقا، ترجمة: محمد عناني، الجزء الأول، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٨، ص ٣٤٠.

(٨) برتي السوتارى، النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢.

(٩) سمير عبد الحميد، التربية وإعادة البناء الايكولوجي للإنسان المصري في فكر جمال حمدان: دراسة جيوبوليتيكية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، دار المنظومة العربية، ٢٠٠١، ص ١٥٦.

(١٠) الدراسات البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، ٢٠١٧، ص ٩.

(١١) هاني خميس، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مجلد ٧، عدد ٣، ٣١ ديسمبر ٢٠١٦، ص ١٥٦.

(١٢) الدراسات البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، مرجع سابق، ص ٦.

(١٣) هانى خميس، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(١٤) المرجع السابق، ص ١٥٩.

(15) Zeki Hamawand, Interdisciplinary Fields, Modern school of Linguistic thought, May 2020, pp. 55,74, www.Researchgate.com

(16) Jan faber, Willemj. S cheper, Interdisciplinary social science: a methodological analysis, springer Link, 1997.

(17) Ronald Rivera AlFaro, Interdisciplinary in social sciences, June 2015, p. 12, www.Researchgate.com.

(18) Ronald Rivera Alfaro, Lainterdisciplinariedad en las ciencias sociales, Revista Reflexiones, Reflexiones, vol n. (1), Jun 2015.

(١٩) سمير عبد الحميد، التربية وإعادة البناء الإيكولوجي للإنسان المصري في فكر جمال حمدان: دراسة جيوبوليتيكية، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٢٠) جمال حمدان في الثقافة المصرية، مجلة الفكر والفن المعاصر، عدد ١٢٦، رئيس التحرير: غالي شكري، مايو ١٩٩٣، ص ١.

(٢١) جمال حمدان الجغرافي الذي خلده التاريخ، الثقافة الجديدة، ع ٣٤٢، مارس ٢٠١٩، رئيس التحرير: مسعود شومان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٩٠.

(٢٢) عبد الفتاح مقلد، جمال حمدان في ذاكرة التاريخ، دار المنظومة العربية، د.ت، ص ٦٥.

(٢٣) عمر الفاروق، حوارات مع حمدان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٤٥.

(٢٤) عبد الحميد صالح حمدان، تطور الفكر الجغرافي عند جمال حمدان، عالم الكتب، ٢٠١٣، ص ١٥.

(٢٥) أحمد عبد العال، الفكر الجغرافي عند جمال حمدان، دار المنظومة العربية، ٢٠١١، ص ٦.

(٢٦) إبراهيم محمد، تقويم البعض الأفكار الجيوبوليتيكية عند جمال حمدان، كلية التربية، جامعة الموصل، دار المنظومة، د. ت، ص ١٧٢.

(٢٧) عاطف معتمد، حمدان قراءة متجددة: روح المكان وشخصيته، بيت الجغرافيا، ٢٠١٩، ص ٢٢.

https://geo-House.info

(٢٨) مصطفى محمد، جمال حمدان بين الاعتكاف الحضاري والعودة المستنيرة، معهد الإنماء العربي، مج١٩، ع ٩٢، ١٩٩٨، ص ٢٤٢.

(٢٩) خالد محمد، الدراسات البينية بين العلوم الشرعية والإنسانية، كلية الشرطة، قطر، ٢٠١٨، ص ٣٧.

(٣٠) عبد الله حسين، النقد الأدبي من الحداثة المنهجية إلى الدراسات البينية، المؤتمر العلمي الرابع: العلاقة البينية في الدراسات الأدبية، جامعة حضرموت، ٢٠١٩، ص ١٧١.

(31) Regina Williams, critical Discourse Analysis as an Interdisciplinary Research Methodology for Interdisciplinary, Inter cultural and an inter institutional Assessment tool for student- perceived learning compared with instructor – perceived teaching of interdisciplinary online courses, Global conference on contemporary Issues in education, July, las vegas, U.S.A, 2014, p. 279.

(٣٢) نجلاء إسماعيل، سها حمدي، فاعلية وحدة مقترحة في العلوم والدراسات الاجتماعية قائمة على الدراسات البينية في تنمية مهارات التفسير والحس العلمي والجغرافي لدى تلاميذ الصف الأول الإعدادي، كلية التربية، إدارة البحوث والنشر العلمي، المجلة العلمية، جامعة أسيوط، 2015، ص ٤.

(33) Mirjam Brabler, jan Dettmers, How to Enhance interdisciplinary problem based Learning versus interdisciplinary project Based learning, Interdisciplinary journal of problem based on learning, volume 11, Article 12, 2017, p. 7.
www.Researchgate.com

(34) Bryan Edward, Interdisciplinary science stem education for the 21st century, April, 2020, pp. 93-119, www.Researchgate.com

(٣٥) شارلين هس – بيبر، بارتيشياليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١، ص ٤٨٦.

(٣٦) محمد عفيفي، حمدان: عبقري الجغرافيا الغائص في الهوية المصرية وراقاتها العميقة، الثقافة الجديدة، مارس ٢٠١٩، عدد ٣٤٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٩٠.

(٣٧) سمير عبد الحميد، التربية وإعادة البناء الإيكولوجي للإنسان المصري في فكر جمال حمدان: دراسة جيوبوليتيكية، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٣٨) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، دار الهلال، ص ص ٣٢-٣٣.

(٣٩) عبد الحميد صالح حمدان، تطور الفكر الجغرافي عند جمال حمدان، عالم الكتب، ٢٠١٣، ص ٢١.

(٤٠) عاطف معتمد، "حمدان: قراءة متجددة (روح المكان وشخصيته)"، بيت الجغرافيا، ، ٢٠١٩، ص ٢..https://geo – House.info

(٤١) عبد الوهاب المسيري، د. جمال حمدان، خطوة للتوثيق والدراسات، ٢٠١٨، ص ٢.

(٤٢) محمد الشرنوبي، عاشق تراب مصر: جمال حمدان، المجلس القومي للشباب، ٢٠١٣، ص ٢٥.

(٤٣) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص ١–١٧.

(٤٤) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص ص ١–١٧.

(٤٥) عبد الوهاب المسيري، د. جمال حمدان، مرجع سبق ذكره، ص ٢.

(٤٦) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص ١٤.

(٤٧) فتحي مصيلحي، جمال حمدان في المدرسة الجغرافية، جمال حمدان في الثقافة المصرية، القاهرة: مجلة الفكر والفن المعاصر، عدد (١٢٦)، مايو ١٩٩٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤٨) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، ص ص ١–١٧.

(٤٩) أحمد عبد العال، الفكر الجغرفي عند جمال حمدان، دار المنظومة العربية، ٢٠١١، ص ٧٨.

(٥٠) سمير عبد الحميد، التربية وإعادة البناء الإيكولوجي للإنسان المصري في فكر جمال حمدان: دراسة جيوبوليتيكية، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٦٦ – ١٦٩.

(٥١) دينا علا، جمال حمدان وعبقرية المكان: قراءة في موسوعة شخصية مصر، دار المنظومة العربية، ٢٠١٤، ص ص ١– ٨.

(٥٢) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، ٢٠١٦، ص ٣٢.

(٥٣) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، دار الهلال، ص ص ٥٠–٥٦.

(٥٤) المرجع السابق، ص ص ٥٠– ٦٠.

(٥٥) جوردون مارشال وجون سكوت، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مرجع سبق ذكره، المجلد الثاني، ص ٥٢٩.

(٥٦) شارلوت سيمور. سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع محمد الجوهرى، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، ص ٤٢٤.

(٥٧) جمال حمدان: شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٨.

(٥٨) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٥٩) جوردون مارشال وجون سكون، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.

(٦٠) عبد الوهاب المسيري، د. جمال حمدان، مرجع سبق ذكره، ص ٢.

(٦١) عمر الفاروق، حمدان: فيلسوف المكان، جمال حمدان في الثقافة المصرية، القاهرة: مجلة الفكر والفن المعاصر، عدد (١٢٦)، مايو ١٩٩٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٤.

(٦٢) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، مرجع سبق ذكره، ص ص ١- ٦٠.

(٦٣) جمال حمدان: مختارات (٣) من شخصية مصر، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠، ص ١٧.

(٦٤) جوردون مارشال، جون سكوت، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

(٦٥) جمال حمدان، مختارات (٣) من شخصية مصر، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٧- ٥٠.

(٦٦) فريدة أحمد: شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، معهد الإنماء العربي، دار المنظومة العربية، ٢٠١٨، ص ص ٢٤٧ – ٢٥٠.

(٦٧) المرجع السابق، ص ص ٢٤٧- ٢٥٠.

(٦٨) جمال حمدان، مختارات (٣) من شخصية مصر، مرجع سبق ذكره، ص ص ١- ٥٠.

(٦٩) فريدة أحمد: شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٤٧ – ٢٥٠.

(٧٠) جمال حمدان: شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، مرجع سبق ذكره، ص ص ١- ٦٠.